



أبو حنيفة النعمان

سَلَكَ مِنْهَا بَحْثًا يَتَّسِمُ بِبُعْدِ النَّظَرِ وَالْحَيْطَةِ

أَنَا النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ زُوَيْطَى بْنِ مَاهِ التَّيْمِيُّ، الْكُوفِيُّ، الْفَقِيهُ الْمَحْدَثُ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ. وُلِدْتُ بِالْكُوفَةِ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَتَرَبَّيْتُ فِيهَا وَعِشْتُ بِهَا أَكْثَرَ حَيَاتِي. وَأَنَا أَعَدُّ أَحَدَ التَّابِعِينَ، فَقَدْ لَقِيتُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَسَهْلَ بْنَ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، وَأَبَا الطُّفَيْلِ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ، وَرَوَيْتُ عَنْهُمْ.

كُنْتُ أَعْمَلُ بِالتَّجَارَةِ بِصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ، وَمَكَّنْتُ فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ حَيَاتِي فَاكْتَسَبْتُ خِبْرَةً فِي الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَطُرُقِ النَّاسِ فِي الْبَيْعِ وَالشُّرَاءِ وَالْمَدَائِنَاتِ، حَتَّى أَصْبَحْتُ صَاحِبَ خِبْرَةٍ فِي ذَلِكَ، حَتَّى أَنَّ النَّاسَ أَطْلَقَتْ عَلَيَّ «الْحَزْرَازُ» نَظْرًا لِتِجَارَتِي فِي الْحَزْرِ.

سَلَكَتُ فِي بَحْثِي لِلْفَقْهِ مَسَلَكًا يَتَّسِمُ بِبُعْدِ النَّظَرِ وَالْحَيْطَةِ وَالْبُعْدِ عَنِ الزَّلَلِ، فَكُنْتُ إِذَا مَا بَحَثْتُ فِي الْفَقْهِ أَجْمَعُ أَصْحَابَهُ وَأَجْتَمِعُ بِهِمْ وَأَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْمَسْأَلَةَ، فَيُبْدِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا عِنْدَهُ مِنْ رَأْيٍ فِيهَا، فَإِذَا اتَّفَقُوا أَخَذْتُ بِهِ، وَإِنْ اخْتَلَفُوا تَنَاقَشُوا وَدَعَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَأْيَهُ بِالذَّلِيلِ، فَإِذَا مَا انْتَهَيْتُ فِيهَا مَعَهُمْ إِلَى رَأْيٍ أَمَرْتُ بِكِتَابَةِ الْمَسْأَلَةِ مُدَعِّمَةً بِالْأَدْلَةِ.

كُنْتُ أَعْمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوَّلًا، فَإِنْ لَمْ أَجِدْ فَبِالسُّنَّةِ، فَإِنْ لَمْ أَجِدْ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ

وَأَنْتَهتِ الْمَحَنَةَ بِهَرُوبِي إِلَى مَكَّةَ عَامَ 130 هـ، أَمَّا الْمَحَنَةُ الثَّانِيَةُ فَكَانَتْ فِي عَصْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَسَبَّبَهَا تَأْيِيدِي لِثَوْرَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ، وَكُنْتُ أَجْهَرُ بِمُخَالَفَةِ الْمَنْصُورِ، وَعِنْدَمَا دَعَانِي لِتَوَلِّي الْقَضَاءِ امْتَنَعْتُ، فَطَلَبَ أَنْ أَكُونَ قَاضِي الْقَضَاءِ فَا مْتَنَعْتُ، فَحَبَسَنِي حَتَّى تَوَفَّانِي اللَّهُ.

أُسْتَاذِي حَمَّادٌ، اشْتَرَطْتُ عَلَى أَصْحَابِي وَتَلَامِيذِي أَنْ يَجْلِسَ عَشْرَةٌ مِنْهُمْ فِي الْحَلْقَةِ مُدَّةَ عَامٍ، فَوَافَقُوا وَوَفَّقُوا بِشَرْطِي عَلَيْهِمْ، وَبِهَذَا قَدْ ضَمِنْتُ تَشْكِيلَ الْحَلْقَةِ عَلَى مَا هِيَ مَعَ بَقَاءِ الضُّوَابِطِ الْمَوْضُوعَةِ لَهَا. وَقَدْ كَانَ لِي تَلَامِيذٌ بَلَغَ عَدْدُ مَنْ دَوَّنَ مِنْهُمْ مَذْهَبِي أَرْبَعِينَ إِمَامًا، اشْتَهَرَ مِنْهُمْ: أَبُو يُونُسَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فَرْقَدِ الشَّيْبَانِيُّ، وَزُفَرُ بْنُ الْهَدَيْلِ بْنِ قَيْسٍ. وَقَدْ اشْتَهَرَ مَذْهَبِي (الْمَذْهَبُ الْحَنْفِيُّ) فِي الْكُوفَةِ وَبَغْدَادَ وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَتُونِسَ وَالْجَزَائِرَ وَالْيَمَنَ وَالْهِنْدَ وَفَارِسَ وَالصُّيُنَ وَبُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ، وَبِلَادِ الْأَفْغَانِ وَالْقَوْقَازِ، وَتُرْكِسْتَانَ الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ.

وَقَعْتُ فِي مَحْتَتَانِ، الْمَحَنَةُ الْأُولَى فِي عَصْرِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ، وَسَبَّبَهَا أَنْحِيَازِي لِثَوْرَةِ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَرَفْضِي الْعَمَلَ عِنْدَ وَالِي الْكُوفَةِ يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فَحَبَسَنِي وَضَرَبَنِي،

